

ما يضاد التوحيد:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،، أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله،
أيها الإخوة المؤمنون،، فقد رأينا وسمعنا في الخطبة الماضية كيف توصلنا إلى أن تحقيق
العبودية لله عز وجل هو أعلى مقام يمكن أن يصله البشر، وأشرنا إلى أن تحقيق التوحيد
يحتاج إلى يقظة قلبية دائمة تنفي عن النفس كل خاطرة تقدح في عبودية العبد لربه،
وتدفع كل خالجة شيطانية في كل حركة أو تصرف، ليكون ذلك كله خالصاً لله وحده
دون من سواه.

وفي هذه الخطبة نجدُ بنا المسير لنلج باب آخر على النقيض من الباب السابق ، وذلك كما
هو الحال بالنسبة لجميع الاشياء ف إن للتوحيد ما يضاده وينقضه أو ينقصه، و هو ما
يصطلح عليه بالشرك، والشرك يتخذ عدة أشكال ويختلف حكمه بين مخرج من الملة وبين
ناقص مناف للتوحيد دون إخراج من الملة بحسب أنواعه.

وسنخرج على هذه القضية الخطيرة تعريفا لها ، وبيانا لأنواعها، وأحكامها ومظاهرها.
والشرك كما قال ابن فارس: " يدلّ على مقارنة وخلافٍ انفرادٍ، وشركة، وهو أن يكون
الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلاناً في الشيء إذا صرت شريكه،
وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك."

والشرك في الاصطلاح الشرعي أن يعتقد الإنسان أو يفعل شيئاً لغير الله مما يختص به
سبحانه وتعالى.

وبهذا التعريف يتبين أن الشرك يتناول جانبين: جانب الاعتقاد، وجانب العمل والممارسة،
فالجانب الأول بمثابة الأساس للثاني، وحقيقته أن يعتقد في غير الله ما هو حق محض لله
تعالى، ومن أمثله: أن يعتقد أن غير الله قادر على الإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإصابة
من يشاء بالشر من مرض أو فقر، أو يعتقد فيه أنه يعلم الغيب، وأنه يملك شيئاً من الأمر
والنهي والطاعة المطلقة، وأن له أن يخالف الشرع إذا شاء، وأن بيده شيئاً من سعادة الناس
يوم القيامة أو شقاوتهم ، كما يدخل فيه الخضوع والتذلل القلبي، والخوف والرجاء،
والتوكل، والإنابة لغير الله.

هذه كلها -أيها الإخوة- تدل على فساد الاعتقاد كما أنه ضلال مبين لا مخرج منه إلا
بالتوبة إلى الله وملازمة التوحيد ومقاصده.

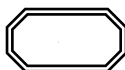


أما الجانب الثاني -أيها الإخوة- فله مظاهر كثيرة في حياة الناس اليومية، انظروا في السحر والشعوذة والتطير والتشاؤم والرقى والتمايم، والحلف بغير الله في صور لا تكاد تُحصَر، والغلو في الصالحين، ناهيك بدعاء غير الله، وطلب الغوث من المقبورين، والطواف حول الأضرحة، يدعون عندها ثم يدعونها، ويدجون عندها ثم يدجون لها، ويتمسحون بها، وبأعوادها، وحدائدها، ويتطور الحال حتى يتخذونها أعياداً ومنسكاً فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال تعالى مبينا التلازم بين الشكر والعبادة: {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} النحل 114
وجاء في الحديث القدسي الذي رواه أبو الدرداء -ولا يخلو من كلام ومعناه صحيح-
:” قال الله تعالى : إني والجن والإنس في نبي عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق و يشكر غيري“

وقال في السجود : {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} فصلت 37
وقد يقول قائل: إذا كان السجود عبادة فكيف أمر سبحانه الملائكة أن يسجدوا لآدم؟ وكيف جاز لإخوة يوسف أن يخروا له سجداً وهو نبي لم ينكر عليهم؟
الجواب: أن السجود على نوعين: سجود عبادة، وسجود تحية، فأما الأول فشارك بالله في جميع الشرائع السماوية، وأما الثاني فمباح في شرع من قبلنا، محرم في شرعنا بنصوص كثيرة.

واسمعوا أيها الإخوة إلى ما يقوله رب العزة والجلال عن الشرك وأهله:
قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} النساء 48
وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} المائدة 72
قال تعالى عن أبيائه وصفوة خلقه: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 88



وقال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالدِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} {الزمر} 3

فلا صاحب القبر، ولا صاحب الجاه ينفع من يتخذه وليا من دون الله.

قال تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} {الأنعام} 22

ومن ثم تشتد الخصومة بين المشركين وأوليائهم، وينكر المشركون ما كانوا عليه من الشرك حين لا ينفعهم الإنكار: قال تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ} {يونس} 28

وقال تعالى: {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} {النحل} 86

وقال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} * وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} {البقرة} 166-167

وقال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} {غافر} 84

هكذا —أيها الإخوة— ما من مجتمع ينتشر فيه الشرك، ويقل فيه تحقيق العبودية لله إلا وتجد فيه من سوء الأخلاق، وقبح الأعمال، وانتشار الحماقات والوقاحات ما لا يعلمه إلا الله.. ونسأل الله العافية..

ثم نذكر الإخوة بدخول شهر الله المحرم يوم أمس الخميس، والسنة الصيام يوم التاسوعاء والعاشوراء، وهما يوم الجمعة والسبت القادمين، ومن خلال هذا المنبر ستعرفون بعض البدع الحولية التي يفعلها الناس في يوم عاشوراء، سنة وشيعة، في الخطبة القادمة إن شاء الله.

اللهم إنا نسألك زيادة في الدين وبركة في العمر وصحة في الجسد وسعة في الرزق الحلال وتوبة قبل الموت ومغفرة بعد الموت وعفو عند الحساب وأمانا من العذاب ونصييا وارزقنا جنة الفردوس و النظر إلى وجهك الكريم اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين وارحم موتانا وموتى المسلمين اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. وصل وسلم على عبد ورسولك محمد... (الجمعة 1434/1/2 هـ = 2012/11/16 م)

